



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

كلية العلوم الإسلامية مجلة فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

وزارة التعليم العالي والبحث

العلمي

جامعة بغداد

كلية العلوم الإسلامية

مجلة كلية العلوم الإسلامية

تصدرها

كلية العلوم الإسلامية

جامعة بغداد

العدد: ٢١

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦

المحتويات

الصفحة	الباحث	الموضوع
٧٦-٦	م.م. طالب هادي لاحج	آيات البشارة للمؤمنين في القرآن الكريم
١١٥-٧٧	د. ساجر الجبوري	وراثه حق التصرف في الأراضي الأميرية في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي - القسم الأول
١٧١-١١٧	د. أمجد مراقب داود عبيد	الأقوال الفقهية في نقل وزرع الأعضاء البشرية
٢٤٢-١٧٣	موفق تركي زيدان	الأحكام الدنيوية الخاصة بالشهيد في الفقه الإسلامي
٣١٢-٢٤٣	د. محمد محمود سلمان	الأعذار المبيحة للإفطار في رمضان
٤٣٤-٣١٣	د. غازي خالد رحال العبيدي	أحاديث الأحكام المضطربة في سنن الترمذي وأثرها في اختلاف الفقهاء
٤٧٧-٤٣٥	د. نجم عبد الله ابراهيم	العدل بين الأولاد في العطايا دراسة فقهية
٥١٨-٤٧٨	د. ثامر ماجد عبد العزيز و م.م. سامي محمود فريح	احكام الخبز في الفقه الإسلامي
٦١٥-٥١٩	د. صهيب عباس عودة	مباحث الأمانة عند الأصوليين

٧٠٤-٦١٦	د. سعد عبد الرحمن فرج	دور السنة النبوية في تأصيل فقه الموزنات
٧٧٦-٧٠٦	أ.د. بهجة كامل عبد اللطيف	صور من افتراءات المستشرقين حول الرسول محمد ﷺ وبيان بطلانها
٩٨٢-٧٧٨	د. صلاح الدين حسن خضير	المدينة المنورة ودور اليهود في الحياة الاقتصادية في صدر الإسلام
-٩٨٣ ١٠٢٨	م. م. ابراهيم خلف عودة	دعوى عدم نفاذ التصرف
-١٠٣٠ ١٠٩٦	رواء عبد الأمير	لفظة رحم واشتقاقاتها في القرآن الكريم دراسة دلالية تركيبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الانبار

كلية العلوم الإسلامية

آيات البشارة للمؤمنين

في القرآن الكريم

دراسة تحليلية

م. م. طالب هادي لاحج

جامعة الانبار - كلية العلوم الإسلامية / الرمادي

٢٠٠٩م

١٤٣٠هـ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم هدى ورحمة لعباده قيم لا اعوجاج فيه نذيراً للكافرين وبشيراً للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بالخير في الدنيا والآخرة قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، اللهم صلي وبارك على هذا النبي الكريم وعلى آله وصحبه والعاملين بسنته والداعين إلى شريعته إلى يوم الدين... وبعد.

فإن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن على حبيبه محمد (صلى الله عليه وسلم) وفيه أصول الإسلام من عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاق وفيه الترغيب والترهيب وفيه الخلق والتاريخ وفيه علم الأولين والآخرين وفيه البشارة للمؤمنين فكان كشجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

إن من دواعي السرور أن أتشرف بالبحث في موضوعات هذا الكتاب العظيم الذي لا تنقضي عجائبه ولا تفنى محاسنه ولا يشبع منه العلماء فنحن أمام مآئدته وجلاله وكماله لنعيش في جنة ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر. فاخترت أن أقف عند موضوع بشارة المؤمنين وهذه الصفة يتحلى بها عباد الله الذين

يعرفون الله سبحانه وتعالى ويخافون عذابه فهم في خشية مما يخوفهم به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة فيؤدون الواجبات ويمتنعون عن المحرمات فكان سبب الاختيار لها الموضوع هو معرفة ما فيه سعادتنا ورفعتنا إلى ما يوصلنا إلى خير الدنيا والآخرة في هذا الزمان الذي طغت فيه الماديات على الروحانيات وظهرت فيه علامات الساعة الصغرى يأخذ بعضها برقاب بعض فماذا ينتظر الغافلون أن تأتيهم غاشية من عذاب ربهم تأخذهم بغتة وهم يلعبون أو ساهون غافلون وعلى الدنيا يتكالبون (وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) وقد اقتضت ضرورة البحث تقسيمه إلى ثلاثة مباحث سبقتها مقدمة وتمهيد وأعقبها خاتمة على الترتيب الآتي:

١. التمهيد وفيه مطلبان.

المطلب الأول: مفهوم البشارة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مفهوم المؤمن لغة واصطلاحاً.

٢. المبحث الأول: بشارة المؤمنين بالأجر الحسن والكبير

والجنة.

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: بشارة المؤمنين بالأجر الحسن، تحليل الآية (٢) من سورة الكهف.
- المطلب الثاني: بشارة المؤمنين بالأجر الكبير، تحليل الآية (٩) من سورة الإسراء.
- المطلب الثالث: بشارة المؤمنين بالجنة، تحليل الآية (٢٥) من سورة البقرة.
٣. المبحث الثاني: بشارة المؤمنين بأن لهم قدم صدق عند ربهم والنصر والفتح القريب والفضل الكبير. وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: بشارة المؤمنين بأن لهم قدم صدق عند ربهم، تحليل الآية (٢) من سورة يونس.
- المطلب الثاني: بشارة المؤمنين بالنصر والفتح القريب، تحليل الآية (١٣) من سورة الصف.
- المطلب الثالث: بشارة المؤمنين بالفضل الكبير، تحليل الآية (٤٧) من سورة الأحزاب.
٤. المبحث الثالث: وفيه مطلبان.
- المطلب الأول: بشارة المؤمنين بالسعادة بنعيم الدنيا والآخرة، تحليل الآية (٢٢٣) من سورة البقرة.
- المطلب الثاني: بشارة المؤمنين بخيري الدنيا والآخرة، تحليل الآية (١١٢) من سورة التوبة.

أما الخاتمة فقد أوجزت فيها خلاصة ما توصلت إليه واتبعتها بقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها، هذا وإني قد بذلت جهدي فإن أكن قد أحسنت فذلك بفضل ربي وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فمن نفسي فأرجو من الله أن لا يحرمني عطاءه ولا يقطع عني آلاءه وأن يجعل عملي خالصاً لوجه الكريم إن ولي التوفيق ومن وراء القصد.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم
تسليماً كثيراً

التمهيد وفيه مطلبان

المطلب الأول: مفهوم البشارة لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: مفهوم المؤمنین لغة واصطلاحاً

المطلب الأول:

البشارة لغة واصطلاحاً

أولاً. البشارة لغة:

من (بَشَرَ) و(بَشْرَة) من البشرى وبابه نصر. و(أبشره) أيضاً و(بشره تبشيراً) والاسم (البشارة) بكسر الباء وضمها ويقال (بشره) بكذا بالتخفيف (فأبشراً) أي سر. والبشير الحسن الوجه، والبشارة الجمال.

ويقال بشرت فلانا أبشره تبشيراً وذلك يكون بالخير وربما حمل عليه غيره من الشر، ويقال أبشرت الأرض إذا أخرجت نباتها ويقال ما أحسن بشرة الأرض، ويقال بشرت الأديم إذا قشرت وجهه، وتبشير الصبح أوائله، والمبشرات الرياح التي تبشر بالغيث^(١).

(١) أنظر: معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس: (١/٢٥١-٢٥٢)، ومختار الصحاح

للرازي: ٥٣، ولسان العرب لابن منظور: ٤٢٤/١.

ثانياً. البشارة اصطلاحاً:

كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر وفي الخير أغلب^(١).

المطلب الثاني: مفهوم المؤمن لغة واصطلاحاً.

أولاً. المؤمن لغة: مصدر أمن وهو مأخوذ من مادة (أ، م، ن) التي تدل على معنيين هما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناه سكون القلب والتصديق الذي هو ضد التكذيب، ومن المادة أيضاً (الأمانة) جمع مؤمن اسم فاعل من آمن وضده الخوف، أما الإيمان فضده الكفر وقد أخذ هذا المعنى الأخير من التصديق بإجماع أهل العلم كما يقول ابن منظور وهو راجع إلى معنى الأمان، لأن العبد إذا آمن بالله أمنه الله وصار في أمانه، قال عز وجل: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)^(٢)، وإنما قيل للمصدق بالله مؤمن لأنه لما صدّقه استسلم له وامن كل من كان مثله فيكون المؤمنون بعضهم في أمان بعض من ذلك قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) حين سئل عن المؤمن؟ قال: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل من يا رسول الله. قال: الذي لا يؤمن جاره بوائقه)^(٣). أي أن المؤمن هو من يؤمن جاره

(١) التعريفات للجرجاني: ٤٥، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي: ١٧١/١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

(٣) صحيح البخاري للبخاري: ٥/٢٢٤٠، رقم الحديث (٥٦٧٠).

بوائقه، وإذا كان الإيمان صفة للعبد عديّ بالباء واللام، فقيل آمن بالله والله، لأنه يرجع إلى معنى التصديق وإذا تكلم به في صفة الله لم تدخل عليه اللام أو الباء لأنه يراد به الأمان^(١).

ثانياً: المؤمنون اصطلاحاً:

تحدثت عن الإيمان اصطلاحاً طوائف عديدة من أهل العلم من الفقهاء وأهل الحديث والمتكلمين والمفسرين وغيرهم وقد تناول ذلك كل من التهانوي والعيني فقالا ما خلاصته: معنى الإيمان باعتبار عرف الشرع اختلف فيه أهل القبلة على أربع فرق:

الأولى: الإيمان فعل القلب فقط، أي تصديق الرسول (صلى الله عليه وسلم) في كل ما علم مجيئه به بالضرورة تصديقاً جاز مطلقاً.

الثانية: الإيمان عمل (إقرار) باللسان فقط بشرط حصول المعرفة بالقلب فإن لم تحصل كان صاحب ذلك مؤمن الظاهر كافر السريرة.

الثالثة: الإيمان عمل القلب واللسان، أي الاعتقاد الجازم والإقرار بالشهادتين وقد نسب هذا إلى أبي حنيفة وعامة الفقهاء وبعض المتكلمين.

(١) أنظر: الصحاح، للجوهري: ٢٠٧١/٥، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ١٣٣/١، ولسان العرب، لابن منظور: ٢٣٢/١.

والرابعة: الإيمان فعل القلب واللسان وسائر الجوارح، وقد نسب القول لذلك إلى أصحاب الحديث ومالك والشافعي والأوزاعي ولأصحاب الحديث بعد ذلك أقوال ثلاثة:

الأول: المعرفة إيمان كامل وهي الأصل ثم بعد ذلك كل طاعة إيمان على حدة، وكذلك الجحود وإنكار القلب كفر، ثم بعد ذلك كل معصية كفر على حدة.

الثاني: الإيمان اسم للطاعات كلها فرائضها ونوافلها وهي بجملتها إيمان واحد وترك الفرائض وحده هو الذي ينقص الإيمان بخلاف النوافل.

الثالث: الإيمان اسم للفرائض دون النوافل^(١).

(١) بتلخيص عن الإمامين العيني والتهانوي في المرجعين السابقين وهو: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للعيني: ١/١١١، وكشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي: ١/١٣٧.

المبحث الأول

بشارة المؤمنين بالأجر الحسن والكبير والجنة

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: بشارة المؤمنين بالأجر الحسن

قال تعالى: (قِيَمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا)^(١).

أولاً: مكان نزول الآية:

هذه الآية تبعا لسورة الكهف مكية نزلت قبل هجرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كما روي عن ابن عباس واليه ذهب الجمهور^(٢).

ثانياً: المناسبة لما قبلها وما بعدها:

ولما كان الجامع لا يخلو من عوج أو قابلية له إلا أنه كان من علام الغيوب نفى القابلية والإمكان دلالة على أنه من عنده لينتفي العوج بل هو مستقيم في جميع معانيه من غير اختلاف أصلاً هادٍ إلى كل صواب لأن العوج بالكسر: فقد الاستقامة في المعاني، وبالفتح في الأعيان، وأتبعه حالاً أخرى له بقوله تعالى: (قِيَمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا)^(٣).

(١) سورة الكهف: الآية ٢.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركلي: ١/١٩٤، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١/١٠-١١، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي: ١/٩٨، وكمال الأقرء للسخاوي: ١/٨-٩.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٤/٤٤٢.

المناسبة لما بعدها: ولما خص هذا الصنف بالنعيم فقال
(مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَوَّلًا)^(١)، أي بلا انقطاع أصلاً فإن الأبد زمان لا آخر
له^(٢).

ثالثاً: تحليل الكلمات:

١. قيما: القاف والياء والميم أصل، كما يقال قام
بهذا الأمر إذ اعتنقه ومن الباب قومت الشيء تقويماً وأصل
القيمة الواو، وأصله أنك تقيم هذا مكان ذاك، ومن الباب
هذا قوام الدين والحق، أي به يقوم والقيم على الأمر
متوليه. وأمرٌ قيم: مستقيم، والديانة القيمة: المستقيمة^(٣).

٢. لدنه: لدن: اللام والdal والنون كلمة واحدة،
يقال للدين من القضبان لدن، ولدن بمعنى لذي: أي عند^(٤).

رابعاً: القراءات في الآية:

سوف أتبع منهجاً في جميع بحثي هو أنني أذكر أولاً رواية
حفص^(٥) عن عاصم^(١) ثم بعد ذلك أشير إلى الخلاف عند باقي

^(١) سورة الكهف الآية (٣).

^(٢) ينظر: نظم الدرر، للبعاي: ٤٤٣/٤.

^(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ٣٧٩/٢، ولسان العرب، لابن منظور:
٥٤٨/٧.

^(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ٤٧٤/٢-٤٧٥، ولسان العرب، لابن
منظور: ٦٤/٨.

^(٥) هو حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاصري البزاز
يعرف بـ(حفص)، ولد سنة ٩٠هـ، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري:
٢٥٤/١.

العشرة^(٢) ضمن القراءات الصحيحة، كما إني سأذكر القراءات الشاذة، أما هذه الآية ففيها القراءات الصحيحة^(٣) التالية.

١. قيما: قرأ حفص في الوصل^(٤) بالسكت^(٥)

على ألف عوجا.

خامساً: الإعراب في الآية:

^(١) عاصم بن بهدلة بن أبي النجود شيخ القراء في الكوفة وأحد القراء السبعة ويقال أبو مجود اسم أبيه وبهدلة اسم أمه، كان أحسن الناس صوتا بالقرآن. (غاية النهاية في طبقات القراء: ٣٤٦/١).

^(٢) القراء العشرة: هم رواية القراءات السبع المتواترة ومعهم رواية قراءات ثلاثة مشهورة ومتواترة ووافق العربية ورسم المصحف وأصحابها وهم: نافع وابن كثير وابو عمر البصري وابن عامر الشامي وعاصم الكوفي وحمزة بن الزيات التيمي وعلي الكسائي، أما القراء الثلاثة وهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع وأبو محمد يعقوب الحضرمي وخلف بن هشام. (ينظر قواعد التلاوة وعلم التجويد للدكتور فرج توفيق الوليد - رحمه الله - : ٢٥٩).

^(٣) القراءة الصحيحة: كل قراءة توافق اللغة العربية ولو بوجه واحد وتوافق خط المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فهي صحيحة ولا يجوز ردها ولا يجل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء أكانت عن السبعة أم عن غيرهم: (ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجوزي: ٩/١).

^(٤) الوصل في البلاغة: هو الربط بين الجمل أو عطف بعض الجمل على بعض (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، تأليف الدكتور احمد مطلوب: ٣/٣٥٤).

^(٥) السكت: هو الوقف على آخر الكلمة السابقة وقفة لطيفة من غير تنفس ومقداره حركتان (المهذب في القراءات العشر وتوجيهها، تأليف محمد محمد محمد سالم محيسن: ١٠٥/١).

(لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ) نصب بلام كي والتقدير لينذركم بأسأ، أي عذاباً من عنده^(١).

سادساً: الوجوه البلاغية في الآية:

ومن المقدم والمؤخر^(٢) في قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا)^(٣).

أراد: أنزل الكتاب قيماً ولم يجعل له عوجاً^(٤)..

سابعاً: المعنى العام:

إن الله تعالى أنزل الكتاب على عبده محمد (صلى الله عليه وسلم) مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تفاوت بل بعضه يصدق بعضه، وبعضه يشهد لبعض، ولا اعوجاج فيه، ولا ميل عن الحق (لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ) أي ليخوف الذي كفروا به عذاباً شديداً صادراً من عنده أي نكالا في الدنيا ونار جهنم في الآخرة (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا. مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا) أي ويبشر المصدقين الله ورسوله الذين يمتثلون أوامرهم

(١) إعراب القرآن لابن النحاس: ٢٨٨/٢.

(٢) والتقديم والتأخير: هو ذكر المعنى الذي أتى به من أجله، ينظر: الفوائد المشوقة إلى

علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم إمام الجوزية: ٨٢.

(٣) سورة الكهف الآيتان ١-٢.

(٤) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة: ٢٠٥-٢٠٦.

ونواهيه - بأن لهم ثواباً جزيلاً منه على إيمانهم به وعملهم الصالح في الدنيا وذلك الثواب الجزيل هو الجنة التي وعدها الله المتقين خالدين فيها أبداً لا ينتقلون منها ولا ينقلون^(١).

ثامناً: ما يستنبط من الآية:

١. إن الله سبحانه وتعالى أنزل الكتاب مستقيماً ولم يجعل فيه اعوجاج ولا تفاوت.
٢. انزل الله سبحانه وتعالى الكتاب إنذاراً للكافرين بالعذاب الشديد في الدنيا ونار جهنم في الآخرة.
٣. القرآن مبشراً للمصدقين به بالثواب الجزيل والأجر الحسن في الدنيا والجنة في الآخرة خالدين فيها أبداً لا ينقلون ولا ينتقلون

^(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي: ٢٠٢/١٥-٢٠٣، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٣٤٧/١٠-٣٤٨، وتفسير المراغي للأستاذ الكبير المرحوم احمد مصطفى المراغي: ١١٤/١٥-١١٥.

المطلب الثاني

بشارة المؤمنين بالأجر الكبير

قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (١)

أولاً: مكان نزول الآية:

هذه الآية تبعاً للصورة مكية نزلت قبل هجرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) (٢).

ثانياً: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها:

مناسبة الآية لما قبلها: ولما ثبت إن كتاب موسى عليه السلام الذي أنزل عليه فيما بين مصر وبيت المقدس في تلك المدة المتطاولة هو هدى لبني إسرائيل صادق الوعد والوعد فيما قضى إليهم من أمرهم وأمر بيت المقدس من ترقية حال من أطاعه وإعلائهم وتنبيهاً على أن طاعة الله تجلب كل خير وكرامة ومعصيته تجلب كل بلية، وإن هذا الكتاب قيم في الهداية والوعود الصادقة، فما حال كتاب محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي أنزل عليه من الله في سبب مسيره إليه في ذلك (إن هذا القرآن) أي الجامع لكل حق والفرق بين كل متلبس (٣).

(١) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١٩٣/١، والإتقان في علوم القرآن: ١٠/١-١١.

(٣) ينظر: نظم الدرر: ٣٦٤/٤.

المناسبة لما بعدها: ولما بشرهم لما لهم في أنفسهم أتبعه ما لهم في أعدائهم فقال تعالى: (وإن) أي وبشر المؤمنين أيضاً بأن (الذين لا يؤمنون)^(١) أي لا يتجدد منهم إيمان^(٢).
ثالثاً: تحليل الكلمات:

١. قوله تعالى: (يهدي)، (هدى)، من أسماء الله تعالى الهادي، (الهدى) ضد الضلال هو الرشاد وقوله تعالى: (إن علينا للهدى)^(٣)، أي إن علينا أن نبين طريق الهدى عن طريق الضلال وقد هداه هدىً، وهدياً، وهدايةً، وهداه للدين هدىً، وهداه بهديه في الدين هدىً^(٤)، وجاءت كلمة الهدى في القرآن الكريم على أربعة وعشرين وجاً^(٥)، كالبيان، ودين الإسلام، والإيمان، والدعاء، والعرفان، والإرشاد، وأمر محمد (صلى الله عليه وسلم)، والقرآن، والتوراة، والتوحيد، والسنة، والإلهام، والإصلاح، والرسول

(١) سورة الإسراء الآية ١٠.

(٢) نظم الدرر: ٣٦٥/٤.

(٣) سورة الليل الآية ١٢.

(٤) ينظر: لسان العرب: ٥٩/٩، مادة (هدى)، وكتاب العين للفراهيدي: ٧٨/٤.

(٥) ينظر: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي: ٢٥٦، والوجوه والنظائر، عن هارون بن موسى: ٢، وإصلاح الوجوه والنظائر، للدامغاني: ٤٧٣، وكشف السرائر ل محمد بن العماد: ٢٦، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه لابن الجوزي: ٦٢٦.

والاستبصار، والدليل، والتعليم، والفضل، والتقديم، والموت على الإسلام، والثواب، والأذكار، والصواب، والثبات. وإن المراد في هذه الآية هو (الاستبصار)، ومنه قوله تعالى: (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)^(١).

٢. قوله تعالى: (أجرأ): الأجر: الجزاء عن العمل، والجمع أجور، والأجر: الثواب، وقوله تعالى: (فبشرهم بمغفرة وأجر كريم)^(٢)، والأجر الكريم (الجنة). والعامّة تقول: وأجرته، والأجرة، والإجارة، والأجارة: ما أعطيت من أجر، وتقول العرب: آجرك الله: أي أثابك الله^(٣)، وجاءت كلمة الأجر في القرآن الكريم على أربعة أوجه^(٤): كـ (نفقت الرضاع)، المهر، والجعل، والثواب على الطاعة، وقد ألحق بعض المفسرين وجهين آخرين كالثناء الحسن، والجنة.

والمراد في هذه الآية هو الثواب على الطاعة ومنه قوله تعالى: (ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)^(٥).

(١) سورة البقرة الآية ١٦.

(٢) سورة يس الآية ١١.

(٣) كتاب العين للفراهيدي: ١٧٣/٦، ولسان العرب، لابن منظور: ٨٤/١.

(٤) نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي: ١١٢.

(٥) سورة النحل الآية ٩٦.

القراءات في الآية: (القرآن) قرأها ابن كثير^(١)، وحمزة^(٢) وقفاً: (القرآن)، و(يُبَشِّرُ) وقرأها حمزة والكسائي^(٣)، و(يَبَشِّرُ)^(٤).
الوقف في الآية: الوقف على كلمة هي أقوم كاف.

المعنى العام: مدح الله سبحانه كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله (صلى الله عليه وسلم) ووصفه بصفات في هذه الآية:

١. أنه يرشد من اهتدى به للسبيل التي هي أقوم السبل وهي ذلك الدين القيم والملة الحنيفية السمحاء، التي أهم دعائمها الإخبات لله تعالى والإنابة به إليه واعتقاد إنه واحد لا شريك له وأنه صاحب الملك والملكوت وهو الحي الذي لا

^(١) هو عبد الله بن كثير بن المطلب رفع نسبه الداني وزعم أنه تبع في ذلك البخاري، والبخاري إنما ذكر عبد الله بن كثير بن المطلب القرشي من بني عبد الدار، فنقله إلى القارئ ولم يتجاوز أحد كثيراً سوى الأهوازي، ولد ابن كثير بمكة سنة ٤٥هـ ولقي بها عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري وأنس بن مالك وكثير من الصحابة (رضي الله عنهم). وروى عنهم وأخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن السائل، مات سنة ١٢٠هـ، (غاية النهاية في طبقات القراء: ٤٤٣/١).

^(٢) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم وقيل من صميمهم الزيات أحد القراء السبعة ولد سنة ٨٠ للهجرة وأدرك الصحابة بالسن فيحتمل أن رأى بعضهم، توفي سنة ١٥٦هـ وقيل ١٥٨هـ، وهذا وهم حسب قول الذهبي إنما هو ١٥٦هـ. (غاية النهاية في طبقات القراء: ٢٥٦/١).

^(٣) هو عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن محمد أبو محمد التيمي الكسائي مقرأ ثقة قرأ على عبد الله بن أحمد بن مسعود المطرز ومحمد بن الحسن بن زياد، توفي سنة ٣٨٨هـ. (غاية النهاية في طبقات القراء: ٣٩٦/١).

^(٤) تقريب النثر في القراءات العشر لابن الجزري: ١٣٣، وغيث النفع في القراءات السبع للصفاسي - رحمه الله - : ٣٨٠.

يموت وهو الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

٢. أنه يبشر المؤمنين بالله ورسوله الذين يعملون صالح الأعمال فيأتمرون بما أمر به وينتهون عما نهاهم عنه بالأجر العظيم يوم القيامة كفاء ما قدموا لأنفسهم من عمل صالح^(١).

المطلب الثالث

بشارة المؤمنين بالجنة

قال تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوشُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)^(٢)

أولاً: مكان نزول الآية:

هذه الآية تبعاً لسورة البقرة مدنية نزلت بعد هجرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة كما روي عن ابن عباس وإليه ذهب الجمهور^(٣).

ثانياً: سبب نزول الآية:

(١) تفسير المراغي: ١٥/١٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥.

(٣) الإتيقان في علوم القرآن: ١٠/١-١١.

هذه الآية نازلة في المؤمنين وذلك لأن الله تعالى لما ذكر جزاء الكافرين بقوله (النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)^(١). ذكر جزاء المؤمنين بالبشارة في الجنة^(٢).

ثالثاً: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها:

مناسبتها لما قبلها:

ولما ذكر ما لهم (الكافرين) ترهيباً أتبعه ما للمؤمنين ترغيباً فقال صارفاً وجه الخطاب بالرحمة إلى نبي الرحمة (صلى الله عليه وسلم) عاطفاً على ما تقديره: فأنذرهم بذلك لكنه طواه لأن السياق للاستعطاف: فقال (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات)^(٣).

أما مناسبتها لما بعدها: ولما ثبت عجزهم عن المعارضة، إن هذا الكلام كلامه سبحانه وتعالى ثبت أن ما فيه من الأمثال أقواله فهدهم بهذه السورة المدنية على العناد وتلاه بالآية التي أخبر فيها أن ثمار الدنيا وإن شابها ما في الجنة بالاسم وبعض الشكل فقد باينته بالطعوم والطهارة وما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى فاضمحت نسبتها إليها وكان ختم الآية بـ(خالدون) فقال تعالى: (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها)^(٤).^(١).

(١) سورة البقرة الآية ٢٤.

(٢) أسباب النزول للواحي: ١٢.

(٣) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٧١/١.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٦.

رابعاً: تحليل الألفاظ:

١. جنات: والجنة، البستان، ومنه الجنات، والعرب تسمي النخيل: جنة، والجنة، الحديقة ذات الشجر والنخيل وجمعها: جنان، والجنة هي دار النعيم في الدار الآخرة^(٢).
٢. أزواج: جمع زوج: الزاء والواو والجيم، أصل يدل على مقارنة الشيء بالشيء ومن ذلك الزوج، ويطلق على الذكر والأنثى (أسكن أنت وزوجك الجنة)^(٣)، فالمرأة زوج الرجل، والرجل زوج المرأة، ويقال لفلان زوجان من الحمام يعني ذكر وأنثى^(٤)، وجاءت كلمة الزوج في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه^(٥): كالتقريب والصنف والزوجات، والمراد في هذه الآية: الزوجات، ومنه قوله تعالى: (ولهم فيها أزواج مطهرة).
٣. خالدون: الخاء واللام والداد أصل واحد يدل على الثبات والملازمة، الخلد: دوام البقاء في دار لا يخرج منها، خلد، يخلد، خلداً وخلوداً: بقي وأقام، ودار الخلد: الآخرة لبقاء أهلها فيها لقوله تعالى: (ويطوف عليهم ولدان مخلدون)^(٦).

(١) نظم الدرر للبقاعي: ٧٥/١.

(٢) لسان العرب: لابن منظور: ٢٣٥/٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٣٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٥٣٨/١، ولسان العرب لابن منظور: ٤٢٩/٤.

(٥) ينظر: الأشباه والنظائر في القرآن لمقاتل بن سليمان: ٢٣٤، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم عن هارون بن موسى: ق ٣٤، وجوه القرآن للنيسابوري: ق ٧٢، وإصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدماغاني: ٢١٩، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه لابن الجوزي: ٣٣٦.

(٦) سورة الإنسان الآية ١٩.

وأهل الجنة خالدون مخلدون آخر الأبد، وأخذ الله أهل الجنة إخلاداً^(١)

خامساً: القراءات في الآية:

١. القراءات الصحيحة:

١. وبشر: قرأها زيد بن علي^(٢)، وبُشِر^(٣).
٢. وأوتوا: قرأها هارون^(٤)، والأعور^(٥)، والعتكي^(٦)، وأتوا^(٧).

وأوتوا^(٧).

-
- (١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٣٧٢/١، ولسان العرب لابن منظور: ١٧٣/٣.
- (٢) هو زيد بن علي بن احمد بن محمد بن عمران بن أبي بلال أبو القاسم العجلي الكوفي شيخ العراق إمام حاذق ثقة توفى في بغداد ٣٥٨هـ. (غاية النهاية في طبقات القراء: ٢٩٨/١).
- (٣) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ١١١/١.
- (٤) هو هارون بن موسى بن شريك أبو عبد الله التغلبي الأخفش الدمشقي مقراً مصدر ثقة ثقة نحوي شيخ القراء بدمشق يعرف بأخفش باب الجابية، توفى ٢٩٢هـ عن ٩٢ سنة. (أنظر: غاية النهاية: ٣٤٧/٢).
- (٥) هو حجاج بن محمد أبو محمد الأعور البصيبي الحافظ، توفى ٢٠٦هـ. (غاية النهاية في طبقات القراء: ٢٠٣/١).
- (٦) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة العتكي الأزدي الواسطي أبو عبد الله الملقب (نفطويه) كان عالماً بالعربية واللغة والحديث توفى ٦ صفر ٣٢٣هـ ودفن في الكوفة. (تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ، للخطيب البغدادي: ١٥٩/٦. وطبقات المفسرين للدوادري: ٢١/١).
- (٧) البحر المحيط: ١١٥/١٠، والجامع لأحكام القرآن: ٢٧٩/١.

٣. مطهرة: قرأها زيد بن علي مُطَهَّرَات^(١)، كما قرأها عبيد بن عمير^(٢)، مُطَهِّرَةٌ^(٣).

٢. القراءات الشاذة^(٤):

وأتوا: قرأها هارون النحوي وأوتوا.

الوقف في الآية^(٥): والوقف على قوله (متشابهاً) كاف^(٦)،

(خالدون) تام^(٧).

سادساً: الإعراب في الآية:

(وبَشِيرٍ) الواو عاطفة عطفت وصف جملة ثواب المؤمن على

وصف جملة عقاب الكافر وفاعل بشر ضمير مستتر فيه وجوباً

تقديره أنت، (الذين) اسم موصول في محل نصب مفعول به، (أن)

(١) البحر المحيط: ١١٧/١، والكشاف للزمخشري: ٥٤/١.

(٢) عبيد بن عمير بن قتادة أبو عاصم الليثي المكي القاص ذكر ثابت البناني انه قص على عهد عمر رضي الله عنه ووردت عنه رواية في حروف القرآن، مات سنة ٧٤ للهجرة، (غاية النهاية في طبقات القراء: ٤٩٦/١).

(٣) البحر المحيط: ١١٧/١.

(٤) هي القراءة التي تخالف القراءة الصحيحة بفقد أحد الأركان الثلاثة التي بينها أعلاه في في هامش القراءات الصحيحة.

(٥) الوقف لغة: هو القطع، واصطلاحاً: هو قطع القراءة مع أخذ نفس مع نية الاستئناف (منار الهدى في الوقف والابتداء للأشبوي: ٨).

(٦) هو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بما ولا بما قبلها لفظاً بل معنى فقط، (ينظر: منار الهدى في الوقف والابتداء: ٢٥).

(٧) الوقف التام: هو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بما ولا بما قبلها لفظاً ولا معنى، (منار الهدى في الوقف والابتداء: ٢٥).

حرف مشبه بالفعل تنصب الاسم وترفع الخبر وهي مع مدخولها في موضع نصب بنزع الخافض، (جنات) اسمها المؤخر وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم، (تجري) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعة الضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل، (الأنهار) فاعل مرفوع، (كلما) ظرف زمان متضمن معنى الشرط، وما مصدرية أو نكرة مقصودة وقد تقدم القول فيها قريباً، (رزقوا) فعل ماضي مبني للمجهول والواو ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية لا محل لها أو في محل جر على الصفة أي كل وقت رزقوا فيه، (رزقا) مفعول به ثانٍ لرزقوا، والمفعول الأول هو نائب الفاعل الذي هو الواو ويبعد أن يكون رزقاً مصدراً منصوباً على المفعوليه المطلقة، وجملة (كلما رزقوا) صفة ثانية لجنات أو حالية. (هذا) اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، (رزقنا) فعل ماضي مبني للمجهول و(نا) ضمير متصل في محل رفع فاعل، وجملة (رزقنا) لا محل لها لأنها صلة الموصول والعائد محذوف أي: (رزقنا)، (واوتوا) الواو استئنافية، وأتوا فعل ماضي مبني للمجهول والواو نائب فاعل، (متشابهاً) حال^(١)

(١) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري: ٢٥/١، وإعراب القرآن وبيانه للدرويش: ٧٣/١-٧٤.

سابعاً: الوجوه البلاغية في الآية:

١. المجاز المرسل^(١): كما في قوله تعالى: (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)^(٢).
٢. التشبيه البليغ^(٣): كما في قوله تعالى: (هذا الذي رزقنا من قبل)^(٤).

ثامناً: المعنى العام:

بعد أن ذكر الكافرين وما أعد لهم من العقاب قفى على ذلك ببشارة الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وما أعد لهم من نعيم مقيم في الدار الآخرة وقد جرت سنة القرآن أن يقرن الترهيب والترغيب تنشيطاً لاكتساب ما يوجب الزلفى عند الله وتنشيطاً عن اقتراف ما يوجب البعد من رضوانه تعالى والمأمول بهذا التبشير كل من يسمع الأمر من أهله وقد وعد الله الذين آمنوا بهذه الجنات وما فيها من لذات وإنا لنفوض علم ذلك إلى الله تعالى ونكتفي بما

(١) والمجاز المرسل: هي كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينه مانعة من إرادة المعنى الأصلي. ينظر: البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع للجارم: ١٤٣.

(٢) إعراب القرآن وبيانه: تأليف الأستاذ محي الدين الدرويش المتوفى عام ١٩٨٢م، الطبعة التاسعة ٢٠٠٣م، دار ابن كثير - دمشق، بيروت: ٧٤/١.

(٣) فالتشبيه البليغ لأنه مبني على إدعاء أن المشبه والمشبه به واحد، فالتشبيه البليغ: ما حذف منه الأداة ووجه الشبه. ينظر: الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان: ٥٩، والبلاغة الواضحة: ٣٥.

(٤) إعراب القرآن وبيانه: ٧٤/١.

ورد من أن لذات الآخرة أعلى من لذات الدنيا فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (ليس في الدنيا مما في الجنة شيء إلا الأسماء)^(١)، وجاء في الصحيحين مرفوعاً عن الله عز وجل: (أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)^(٢).

وفي المعنى نفس لقلوبه تعالى: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون)^(٣)، قال تعالى: (وبشر الذين آمنوا) والبشارة هي الإخبار بما يسرّ للذين آمنوا بالله وصفاته التي جاء بها النقل وأيدها العقل وبالنبى محمد (صلى الله عليه وسلم) وبما جاء به، وبالبعث والجزاء ولا يتحقق الإيمان إلا باطمئنان القلب وقيام البرهان الذي لا يقبل الشك والارتياح وأفضل البراهين ما أرشد إليه القرآن من النظر في آيات الله في الآفاق والأنفس فقد يبلغ الإنسان علم اليقين بنظرة صادقة في هذا الكون الذي بين يديه أو في نفسه إذا تجلت له بغرائب خلقها وبدائع صنعها.

(وعملوا الصالحات): فقد أودع الله تعالى في فطرتهم ما يميزون به بين الخير والشر ولكن بعضهم يظل بما يطرأ على نفسه من زيغ يحيد به عن الهدى ويتبعه آخرون في ظلال فتتولد

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري: ١/١٧٤، والدر المنثور في التفسير

للسيوطي: ١/٩٦.

(٢) صحيح البخاري: ٣/١١٨٥، رقم الحديث: ٣٠٧٢.

(٣) سورة السجدة الآية ١٧.

التقاليد الضارة فتكون هي ميزان الخير والصلاح لدى الضالين وإن كانت لأصل الفطرة كما ورد في الحديث (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)^(١)، وقد بين الكتاب الأعمال الصالحة في أي كثيرة كقوله تعالى: (قد أفلح المؤمنون..... هم فيها خالدون)^(٢).

(أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار): الجنة هي البستان فيه نخيل، والفردوس: البستان فيه الكرم، والمراد هنا دار الخلود في الحياة الآخرة أعدها الله تعالى للمتقين كما أعد النار للكافرين، ونحن نؤمن بها ولا نبحت عن حقيقتهما، والأنهار: وأحدها نهر، وهو المجرى الواسع فوق الجدول دون البحر كنيل مصر، وجرى الأنهار من تحتها هو كما نشاهد في الأشجار التي على شواطئ الأنهار الجارية، وقوله تعالى: (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) أي كلما رزقوا من الجنة رزقا من بعض ثمارها قالوا هذا الذي وعدنا في الدنيا جزاء على الإيمان وصالح العمل فهو من وادي قوله تعالى: (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبوأ من الجنة حيث نشاء). وقوله تعالى: (وأتوا به متشابهاً) أي أن رزق الجنة وثمرها يتشابه على أهلها في صورته ويختلف في طعمه ولذته.

(١) الموطأ للإمام مالك: ٢٤١/١، حديث رقم: ٥٧١، باب جامع الجنائز.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١-١١.

وقوله تعالى: (ولهم فيها أزواج مطهرة) أي ولهم في الجنات أزواج تطهرن غاية التطهر فليس فيهن ما يعين عليه من خبثٍ جسدي مما عليه النساء في الدنيا كالحيض والنفاس. أو نفسي كالكيد والمكر وسائر الأخلاق.

وصحبة الأزواج في الآخرة من الأمور الغيبية التي نؤمن بها كما أخبر الله تعالى ولا نبحت فيما وراء ذلك فأطوار الآخرة أعلى مما في حياتنا الدنيا فهي سالمة من المنغصات في الطعام والشراب والمباشرة الزوجية.

روى مسلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتقلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون، قالوا فما بال الطعام؟ قال: جشاء ورشح كرشح المسك ويلهمون التسبيح والتحميل كما يلهمون النفس^(١)).

وقوله تعالى: (وهم فيها خالدون) أي المكث الطويل ويراد به في لسان الشرح الدوام الأبدي: أي وهم لا يخرجون منها ولا هي تفنى ولا تزول بل هي حياة أبدية لا تنتهي^(٢).

(١) صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٢١٨٠/٤، رقم الحديث: ٢٨٣٥، باب صفة الجنة وأهلها.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢٠٠/١-٢٠٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢٣٧/١، وتفسير المراغي: ٦٧/١-٦٩.

تاسعاً: ما يستنبط من الآية:

١. بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى الكافرين وما أعد لهم من عقاب وترهيب، بشر الذين آمنوا بالترغيب بالجنة ونعيمها.
٢. صحبة الأزواج المؤمنات لأزواجهم في الجنة، وعكس ذلك بالنسبة للكافرين.
٣. بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أطوار الآخرة ومنازلها، ونعيم الجنة.
٤. أن الجنة حياة أبدية لا تنتهي أبداً جزاء للمؤمنين بالله.

المبحث الثاني

بشارة المؤمنين بأن لهم قدم صدق عند ربهم والنصر والفتح القريب

والفضل الكبير

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول:

بشارة المؤمنين بأن لهم قدم صدق عند ربهم

قال تعالى: (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ

مُبِينٌ)^(١)

أولاً: مكان نزول الآية:

هذه الآية مكية تبعاً لأول السورة نزلت بمكة قبل هجرة النبي

(صلى الله عليه وسلم) كما قال ابن عباس وعبد الله بن الزبير^(٢).

ثانياً: سبب نزول الآية:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما بعث الله تعالى محمداً

(صلى الله عليه وسلم) رسولا أنكرت الكفار وقالوا: الله أعظم أن

يكون رسوله بشراً مثل محمد، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٣).

ثالثاً: المناسبة لما قبلها وما بعدها:

(١) سورة يونس: الآية ٢.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ١٥/١، وجمال القراء وكمال الأقرء: ١٢/١.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن: ٨١/١١، وكتاب أسباب النزول للنيسابوري: ١٣٠،

ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي: ١١٥.

المناسبة لما قبلها: ولما كان كونه من عند الله من كونه حكيماً موجباً- لقبوله بادئ بدء والسرور به إلى... (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا).^(١)

المناسبة لما بعدها: وعلى حقيقة أنه من عنده (الله) من غير شبهه وعلى أن الرسالة لا عجب فيها لأنه سبحانه خلق الوجود كله وهو نافذ الأمر فيه وقد ابتلى من فيه من العقلاء ليردهم إليه ويحاسبهم فإنه لم يخلقهم سداً لأنه حكيم فلا بد من رسول يخبرهم بما يرضيه وما يغضبه لتقوم بذلك الحجة فقال: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)^(٢).^(٣)

رابعاً: تحليل الكلمات:

١. أنذر: نذر: النون والذال والراء كلمة تدل على تخويف أو تخوف. منه الإنذار، الإبلاغ، ولا يكاد يكون إلا في التخويف^(٤).
٢. مبين: بين: الباء والياء والنون أصل واحد وهو بعد الشيء وانكشافه يقال بان الشيء، يبين، بينا: هو البئر البعيدة في القعر. والبين: قطعة من الأرض قدر مد البصر. وبان

^(١) نظم الدرر: ٤١٣/٣.

^(٢) سورة يونس الآية ٣.

^(٣) نظم الدرر: ٤١٤/٣.

^(٤) معجم مقاييس اللغة: ٥٣٥/٢، ولسان العرب: ٥١٢/٨-٥١٣.

الشيء وأبان إذا اتضح وانكشف، وفلان أبين من فلان: أي أوضح كلاماً منه وجاء هنا هو الوضوح: أي الواضح أو الظاهر المنكشف^(١).

خامساً: القراءات في الآية:

لَسِحْرٍ: قرأها نافع^(٢) والبصري^(٣) والشامي^(٤) بكسر السين وإسكان الحاء.^(٥) كما قرأها الباقون بفتح السين وألف ما بعدها وكسر الحاء.^(٦)

سادساً: الإعراب في الآية:

(أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا) خبر كان واسمها (أَنْ أَوْحِينَا)

(١) معجم مقاييس اللغة: ١/١٦٩-١٧٠، ولسان العرب: ١/٥٧٦.

(٢) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو روين ويقال أبو نعيم ويقال أبو الحسن وقيل أبو عبد الله وقيل أبو عبد الرحمن الليثي مولاهم وهو مولى جعونة حليف حمزة بن عبد المطلب المدني أحد القراء السبعة والأعلام ثقة صالح أصله أصبهان مات سنة تسع وستين ومائة وقيل سبع وخمسين ومائة -رحمه الله-. (غاية النهاية في طبقات القراء: ٢/٣٣٠).

(٣) هو محمد بن الحسن بن هلال بن محبوب أبو بكر محبوب وهو لقبه البصري مولى قريش مشهور كبير. (غاية النهاية في طبقات القراء: ٢/١٢٣).

(٤) هو محمد بن علي بن يحيى بن علي الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله الأندلسي الغرناطي النحوي المقرئ المعروف بالشامي لأن أباه حج وقدم الشام ثم رجع إلى بلده غرناطة فسمع الحديث، توفي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة هجرية. (غاية النهاية: ٢/٢١٢).

(٥) غيث النفع: ٢٣٤.

(٦) المصدر السابق نفسه.

(أَنْ أُنذِرِ النَّاسَ) في موضع نصب أي بأن أُنذر الناس وكذا
(أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقٌ) ويجوز أن لهم قدم صدق بمعنى قل^(١).

سابعاً: الوجوه البلاغية في الآية:

(أُنذِر... وبشر) بينهما طباق^(٢).^(٣).

ثامناً: المعنى العام:

قوله تعالى (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ): أي
عجيب من أمرهم أن ينكروا إنزال الوحي على رجل من جنسهم
ويتخذوه أعجوبة بينهم ويتفكحون بها ويستغربون شأنها كأن
مشاركتهم له بالبشرية يمنع اختصاص الله تعالى إياه بما شاء من
العلم وهو بمعنى قوله تعالى حكاية عنهم: (أبعث الله بشراً
رسولاً)^(٤). وقوله تعالى: (ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة)^(٥). وهذا
الشبهة التي تمسكوا بأذيالها قد سبق إليها أقوام الأنبياء قبلهم كما
جاء في قصة نوح وهود عليهما السلام في سورة الأعراف:
(أو عجبتم أن جائكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم)^(٦).

(١) إعراب القرآن للنحاس: ١٤٠/٢، وإملاء ما من به الرحمن: ٢٤/٢.

(٢) والطباق: هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام. ينظر: البلاغة الواضحة: ٣٦٨.

(٣) صفوة التفاسير للصابوني: ٥٧٨/١١.

(٤) سورة الإسراء الآية ٩٤.

(٥) سورة المؤمنون الآية ٢٤.

(٦) سورة الأعراف الآية ٦٣.

وقد يكون وجه العجب كونه من أفنائهم من جهة المال كما جاء على لسانهم وحكاه الله عنهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)^(١). وحكا عنهم أنهم قالوا: العجب أن الله تعالى لم يجد رسولاً إلا يتيم أبي طالب فإن كانوا قد عنوا الأول، فهو عجب عجب لأن بعث الملك إنما يتسنى إذا كان المبعوث إليهم ملائكة كما قال تعالى منكرأ عليهم ذلك (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً)^(٢). وإن كانوا أرادوا الثاني فهو أغرب منه لأن مدار الاصطفاء للإيحاء هو التبريز في إحراز الفضائل ونيل المكرمات وللنبي (صلى الله عليه وسلم) في ذلك القدح المعلى فقد شهر بينهم بالأمانة والصدق وحسن السمعة وبلوغ الغاية في الكمالات والله در القائل^(٣):

خلقت مبرءاً من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

وليس للتقدم في خطوط الدنيا ولا للسبق في رياستها مدخل في ذلك لا بقبيل ولا دبير ولا قليل ولا كثير، فليس الغني سبب

(١) سورة الزخرف الآية ٣١.

(٢) سورة الإسراء الآية ٩٥.

(٣) ديوان حسان بن ثابت لسيدنا حسان بن ثابت في وصف النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، طبع المطبعة احمديّة سنة ١٢٨١هـ، ص ٨.

للقرب والزلفى عند الله كما قال تعالى: (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى) (١).

(أن أنذر الناس) أي أوحينا إليه بأن أنذر الناس كافة وأعلمهم بالتوحيد والبعث وسائر مقاصد الدين مع التخويف بعاقبة ما هم فيه من كفر وظلال.

(وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ)، أي وبشر الذين آمنوا بما أوحينا اليك بأن لهم أعمال صالحة استوجبوا بها الثواب من الله تعالى ومنزلة رفيعة نالوها بصدق القول وحسن النية (قال الكافرون إن هذا لسحر مبين) أي فلما أتاهم بوحي الله وتلاه عليهم قال المنكرون لتوحيد الله ورسالة رسوله: إن هذا الذي جاء به محمد لسحر مبين أي ظاهر واضح يبين لكم أنه مبطل في ما يدعيه. وجعلوه صفاً لأنه خارق للعادة في تأثيره في القلوب وجذبه النفوس إلى الإيمان به واحتقار الحياة ولذاتها في سبيل الله وخلاصة ذلك أنه كلام مزخرف حسن الظاهر لكنه واضح للبطلان في الحقيقة وقد كذبوا في تسميته سحراً لأن السحر ما يكون بأسباب خفية يتعلمها بعض الناس من بعض أما بالحيل والشعوذة وأما باستخدام خواص طبيعية علمية مجهولة للجماهير، وأما بتأثير قوى النفس وتوجيه الإرادة وجميعها من الأمور التي يشترك فيها الكثير من العارفين بها، والقرآن ليس بسحر يؤثر بالعلم

(١) سورة سبأ الآية ٣٧.

والصناعة، بل هو أقوال مشتملة على آداب عالية وتشريع حكيم فيه مصلحة للناس معجز في أسلوبه ونظمه ومعانيه، أتى على لسان محمد (صلى الله عليه وسلم) ليبلغه للناس، ولم يكن ليقدر على شيء من مثله وبهذا أثبت أنه نبي من عند الله وإن ما جاء به وحي من لدنه^(١).

تاسعاً: ما يستنبط من الآية:

١. تعجب الناس بنزول الوحي على رجل من أهل الدنيا ومن جنس البشر، عظيم هو الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) الصادق الوعد الأمين.
٢. إنذار الناس كافة والتخويف بمعاقتهم وإعلامهم بالتوحيد والبعث، والبشرى للذين آمنوا بأن لهم أعمال صالحة استوجبوا بها الثواب من الله تعالى.
٣. بين الله سبحانه وتعالى أن القرآن ليس بسحر يؤثر بالعلم والصناعة بل هو أقوال مشتملة على آداب عالية وتشريع حكيم.

^(١) روح المعاني: ٥٩/١١-٦٣، والجامع لأحكام القرآن: ٣٠٦/٨-٣٠٧، وتفسير المراغي: ٥٩/١١-٦١.

المطلب الثاني

بشارة المؤمنين بالنصر والفتح القريب

قال تعالى: (وَأَخْرَىٰ تَحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)^(١)
 أولاً: مكان نزول الآية:

هذه الآية مدنية تبعاً لسورة الصف نزلت بالمدينة بعد هجرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كما ورد عن ابن عباس وجمهور العلماء^(٢).

ثانياً: تحليل الكلمات:

١. نصر: النون والصاد والراء أصل صحيح يدل على إتيان خير وإيتاءه ونصر الله المسلمين: أتاهم الظفر على عدوهم ينر نصرأً، وانتصر: انتقم هو منه وأما الإتيان فالعرب تقول: نصرت بلد كذا إذا أتيته وأعنته^(٣).

وجاءت كلمة نصر في القرآن الكريم على أربعة أوجه^(٤): كالمنع والعون والظفر والانتقام وإن المراد في هذه الآية هو العون لقوله تعالى: (وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)^(٥).

(١) سورة الصف: الآية ١٣.

(٢) بصائر ذوي التمييز: ٩٩/١، والإتيان: ١١/١، والبرهان: ٩٤/١، وجمال القراء وكمال الأقرء: ٩/١.

(٣) لسان العرب: ٥٧٣/٨، ومعجم مقاييس اللغة: ٥٦٣/٢.

(٤) الأشباه والنظائر: ٢٣٩، والوجوه والنظائر ق ٣٥، وإصلاح الوجوه: ٤٥٨، نزهة الأعين النواظر: ٥٨٦.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٥٠.

٢. فتح: الفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق يقال: فتحت الباب وغيره فتحاً ثم يحمل على هذا سائر ما في هذا البناء فالفتح والفتاحة: الحكم والله تعالى الفاتح أي الحاكم، والفتح والنصر والأظفار واستفتحت. استنصرت^(١).

وجاءت كلمة الفتح في القرآن الكريم على أربعة أوجه^(٢): كالفتح، القضاء، الإرسال، النصر، وإن المراد في هذه الآية النصر لقوله تعالى: (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ)^(٣).
ثالثاً: الإعراب في الآية:

فأما قول الأخفش سعيد: إن (وأخرى) في موضع خفض على إنه معطوف على تجارة فهو يجوز وأصح منه قول الفراء^(٤): إن (أخرى) في موضع رفع بمعنى ولكم أخرى يدل على ذلك (نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) بالرفع ولم يخفضا وعلى قول الأخفش الرفع بإضمار مبتدأ (وبشر المؤمنين) أي بالنصر والفتح والنصر في اللغة المعونة^(٥).

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٣٨/٢، ولسان العرب: ١٠/٧.

(٢) الأشباه والنظائر: ٢٠٤، وإصلاح الوجوه: ٣٤٧، نزهة الأعين النواظر: ٤٦٢.

(٣) سورة المائدة الآية ٥٢.

(٤) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي إمام العربية أبو زكريا المعروف بالفراء كان يفري الكلام، مات بطريق مكة ٢٠٧هـ عن سبع وستين سنة. ينظر: (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي: ٣٣٣/٢.

(٥) إعراب القرآن للنحاس: ٢٧٨/٤.

رابعاً: المعنى العام:

قوله تعالى: (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) أي ولكم على هذا فوز في الدنيا بنصركم على عدوكم وفتحكم البلاد وتمكينكم منها حتى تدين لكم مشارق الأرض ومغاريبها وقد أنجز الله وعده فرفعت الراية الإسلامية على جميع المعمور من العالم في زمن وجيز لم يعهد التاريخ نظيره وامتلكوا بلاد القياصرة والأباطرة وساسوا العالم سياسة شهد لهم بفضلها العدو قبل الصديق. ثم قال (وبشر المؤمنين) أي وبشر أيها الرسول المؤمنين برضا الله عنهم وبالنصر العاجل في الدنيا وبالجنة في الآخرة^(١).

خامساً: ما يستنبط من الآية:

١. بشارة المؤمنين بالنصر في الدنيا على عدوهم وفتحهم البلاد وتمكينهم منها.
٢. أنجز الله وعده فرفعت راية الإسلام على جميع المعمورة في زمن وجيز لم يعهد التاريخ نظيره، وساسوا سياسة لم يشهد لها التاريخ، وشهد لهم بفضلها العدو قبل الصديق.
٣. البشرى للمؤمنين برضا الله عنهم وبالنصر العاجل في الدنيا وبالجنة في الآخرة.

(١) ينظر: روح المعاني المجلد ١٤: ٩٠/٢٨، جامع البيان، مجلد ١٢: ٥٩/٢٨، والجامع لأحكام القرآن: ٨٨/١٨-٨٩، تفسير المراغي: ٩١/٢٨، والتفسير المنير: ٥٥٦/٢٨.

المطلب الثالث

بشارة المؤمنين بالفضل الكبير

قال تعالى: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا)^(١)

أولاً: مكان نزول الآية:

هذه الآية تبعاً لسورة الأحزاب مدنية نزلت بعد هجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٢).

ثانياً سبب نزول الآية:

أخرج ابن جرير^(٣) عن عكرمة والحسن البصري قالوا: لما نزلت (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)^(٤) قال رجال من المؤمنين: هنيئاً لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله: (لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ)^(٥) وأنزل في سورة الأحزاب: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا)^(٦). وأخرج البيهقي^(٧) عن الربيع بن أنس^(١) قال: لما نزلت

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٧.

(٢) ينظر: الإتيان: ١٠/١-١١، وجمال القراء وكمال الأقرء: ٨/١.

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري): ٧/٢٦.

(٤) سورة الفتح الآية ٢.

(٥) سورة الفتح الآية ٥.

(٦) ينظر: لباب النول في أسباب النزول: ١٦٠.

(٧) ينظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة للبيهقي: ١٥٩/٤.

(وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) ^(٢) نزل بعدها (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) فقالوا: يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا؟ فنزل (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) قال: الفضل الكبير: الجنة. ^(٣).

ثالثاً: المناسبة لما قبلها وما بعدها:

المناسبة لما قبلها: ولما تقدمت هذه الأوصاف الحسنى وكان تطبيق ثمراتها عليها في الذروة من العلو وكان الشاهد هو البينة فكان كأنه قيل: فأقم الأدلة النيرة، وأدعُ وأنذر كل من خالف أمرك وكان المقام لخطاب المقبلين، طوى هذا المقدر لأنه للمعرضين ودل عليه بقوله عاطفاً عليه: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا). ^(٤).

المناسبة لما بعدها: ولما أمره سبحانه بما يسر نهاه عن ما يضر فقال ذاكراً ثمرة النذارة: (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) ^(٥). ^(١).

^(١) الربيع بن أنس بن مالك من بكر بنو وائل من أنفسهم وكان من أهل البصرة وقد لقي بن عمر وجابر بن عبد الله وكان أنس قد هرب من الحجاج فأتى مرو فسكن قرية من قراها ومات الربيع بن أنس في خلافة أبي جعفر المنصور. (الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣٦٩/٧).

^(٢) سورة الأحقاف الآية ٩.

^(٣) ينظر: لباب النقول: ١٦٠.

^(٤) ينظر: نظم الدرر: ١١٦/٦.

^(٥) سورة الأحزاب الآية ٤٨.

رابعاً: تحليل الكلمات:

١. فضلاً: (فضل) الفاء والضاد واللام أصل صحيح يدل على زيادة في شيء من ذلك الفضل: الزيادة في الخير والأفضال: الإحسان، ورجل مفضل: أي كثير الخير كثير الإحسان^(٢) وجاءت كلمة الفضل في القرآن الكريم على ثمانية أوجه^(٣) كالأنعام بالإسلام، والأنعام بالنبوة، والرزق في الدنيا، والرزق في الجنة، والجنة، والمنة والنعمة، والحلف، والتجاوز، والمراد في هذه الآية هو الجنة لقوله تعالى: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً).
٢. كبيراً: (كبر) الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر، يقال: هو كبير، والكبير في صفة الله تعالى هو العظيم الجليل المتكبر عن ظلم عباده وتأتي هنا أيضاً العظيم والكثير والزائد والوفير^(٤) وجاءت كلمة الكبير في القرآن الكريم على ستة أوجه^(٥): كالعظيم، والشديد، والثقيل،

(١) ينظر: نظم الدرر: ١١٧/٦.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣٥٧/٢، ولسان العرب: ١١٩/٧.

(٣) ينظر: الأشباه والنظائر: ١٤٠، نزهة الأعين النواظر: ٤٧١.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٣١/٢-٤٣٢، ولسان العرب: ٥٧٦/٧.

(٥) ينظر: الأشباه والنظائر: ١٨١، وكشف السرائر: ٢٣٤، ونزهة الأعين النواظر:

والكثير، والعالي في السن، والعالي في العلم والرأي. والمراد في هذه الآية: العظيم لقوله تعالى: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)^(١).

خامساً: الإعراب في الآية:

(وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) عطف على ما تقدم. وبشر: فعل أمر، والمؤمنين: مفعول به، وبأن متعلقان ببشر ولهم: خبر أن، ومن الله: حال، وفضلاً: اسم أن المؤخر، وكبيراً: صفي لفضلاً^(٢).

سادساً: الوجوه البلاغية في الآية:

توافق الفواصل^(٣) مما يزيد في جمال الكلام ورونقه ووقعه في النفس مثل (فضلاً كبيراً)^(٤).

سابعاً: المعنى العام:

قوله تعالى: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) أي أعلن البشارة لكل من آمن برسالتك وأطاع شرعك بأن له

(١) سورة العنكبوت الآية ٤٥.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢١٩/٣، وإعراب القرآن وبيانه: ١٨٥/٦.

(٣) وتوافق الفواصل فأما أن تعلق إحدهما بالآخر تعلق العمل أو تعلق التكميل فإنه فصل وتوافق الجملتان إذا كانتا معمولتين عامل واحد ويجب أن يعطف الثانية على الأولى بواو الجماعة ينظر: الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تصنيف محمد بن علي بن محمد الجرجاني المتوفى ٧٢٩هـ، تحقيق: د. عبد القادر حسين - دار النهضة - مصر للباعة والنشر: ١٢١-١٢٢.

(٤) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر - دمشق، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م، مجلد ١١: ٣٦٩/٢٢.

فضلاً كبيراً على سائر الأمم وأجرأً عظيماً لا يوصف في الدار الآخرة وهي الجنة لأنهم سيغيرون نظم المجتمع من ظلم وجور إلى عدل وصلاح ويدخلون الأمم المتعثرة في أثواب الظلال في زمرة الأمم التي عليها صلاح البشر في مستأنف الزمان^(١).

ثامناً: ما يستنبط من الآية:

١. الوحي إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) بإعلان البشارة لكل من آمن برسالته وأطاع شرعه بأن له فضل كبيراً على سائر الأمم وأجرأً عظيماً لا يوصف في الدار الآخرة وهي الجنة.
٢. أن المؤمنون سيغيرون نظم المجتمع من ظلم وجور إلى عدل وصلاح.

^(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مجلد ١١: ٤٧/٢٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠١/١٤، وتفسير المراغي: ٢٠/٢٢، والتفسير المنير: ٣٧٢/٢٢.

المبحث الثالث

بشارة المؤمنين بالسعادة بنعيم وخير الدنيا والآخرة وفيه مطلبان

المطلب الأول

بشارة المؤمنين بالسعادة بنعيم الدنيا والآخرة

قال تعالى: (نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَنْتُوا حَرَّتْكُمْ أَتَى سِنَّمُ وَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)^(١).

أولاً: مكان نزول الآية:

هذه الآية تبعاً لسورة البقرة مدنية نزلت بعد هجرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة كما روي عن ابن عباس وإليه ذهب الجمهور^(٢).

ثانياً: سبب نزول الآية:

تلخص لدينا إن لهذه الآية سببا نزول على كثرة الروايات الواردة فيها فإنه يمكن جمع هذه الروايات لتصب في موضوع واحد والسببان هما:

١. قول اليهود: (من أتى امرأته في دبرها جاء الولد أحول).
٢. جماع المهاجرين للأنصار من الخلف مما لم يكن معروفاً عندهم.

١. أخرج البخاري^(١) ومسلم^(٢) وابن جرير^(٣) والواحدي^(٤) عن سفيان^(٥) عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما)^(٦) قال:

^(١) سورة البقرة الآية ٢٢٣.

^(٢) ينظر: البرهان: ١/١٩٤، والإتقان: ١/١١٠-١١١، وبصائر ذوي التمييز: ١/٩٨، وجمال القراء وكمال الأقرء: ١/٨-٩.

كانت اليهود تقول أن الذي يأتي امرأته في دبرها من قبلها:
 إن الولد يكون أحول فنزلت الآية، وهذا أحد ألفاظ الواحدي.
 ٢. أخرج ابن جرير والواحدي عن ابن عباس (رضي الله عنهما)
 قال: إن هذا الحي من قريش كانوا يتزوجون النساء ويتلذذون
 بهن مقبلات ومدبرات فلما قدموا المدينة تزوجوا من الأنصار
 فذهبوا ليفعلوا بهن كما كانوا يفعلون بمكة، فأنكرن ذلك وقلن:
 هذا شيء لم نكن نؤتى عليه. فانتشر الحديث حتى انتهى إلى
 رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأنزل الله تعالى الآية.^(٧)

ثالثاً: المناسبة لما قبلها وما بعدها:

المناسبة لما قبلها: ولما بين سبحانه وتعالى المأتي في الآية
 السابقة نوع بيان أوضحه مشيراً إلى ثمره النكاح الناهية لكل ذي

(١) فتح الباري في صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ١٨٩/٨، حديث (٤٥٢٨).

(٢) صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج: ١٠٥٨/٢-١٠٥٩، حديث (١٤٣٥).

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢/٢٣٤-٢٣٥.

(٤) ينظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٦-٣٧.

(٥) سفيان بن عيينه بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي المكي مولى محمد بن
 مزاحم توفي سنة ١٢٨هـ بمكة، قال عنه ابن حجر: ثقة حافظ فقيه إمام حجة (تهذيب

الكمال ليوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزني: ١١/١٧٧)

(٦) جابر بن عبد الله بن عمر بن حران بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري
 السلمى يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وهو أحد المكثرين عن النبي (صلى الله عليه
 وسلم)، ويقال إنه مات سنة سبع وسبعين ويقال عاش أربعاً وتسعين سنة. ينظر: (الإصابة
 في تمييز الصحابة للعسقلاني: ١/٢١٣).

(٧) الصحيح من أسباب النزول كتبه عصام بن عبد المحسن الحميدان: ٦٧.

لب عن السفاح فقال: (نَسَاؤُكُمْ حَرْتُ لَكُمْ فَاتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)^(١).

المناسبة لما بعدها: ولما أذن في إتيان النساء في محل الحرث كيف ما اتفق ومنع مما سوى ذلك ومنع من محل الحرث في حال الحيض، بين حكم ما إذا منع الإنسان نفسه من ذلك بالإيلاء أو بمطلق اليمين ولو على غير سبيل الإيلاء لأنه نقل عن كثير منهم شدة الميل إلى النكاح فكان يخشى الواقعة في حال المنع فتحمله شدة الورع على أن يمنع نفسه بمانع مظهرة كما بين في سورة المجادلة أو غيرها من الإيمان فمنعهم من ذلك بقوله تعالى عادلاً عن خطاب نبيه (صلى الله عليه وسلم) تعظيماً لمقامه: (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً) (٢). (٣).

رابعاً: تحليل الكلمات:

أولاً: الحرث: الحاء والراء والثاء أصلان متفاوتان إحداهما الجمع والكسر، والآخر أن يهزل الشيء، فالأول الحرث: وهو الكسب والجمع وبه سمي الرجل حارثاً ومن هذا الباب حرث الزرع، والمرأة حرث الزوج وذلك لأنها مزدرع ولده، قال الله تعالى: (نَسَاؤُكُمْ حَرْتُ لَكُمْ) (٤)، وجاءت كلمة الحرث في القرآن

(١) نظم الدرر: ٤١٨/١.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٤.

(٣) نظم الدرر: ٤٢٤/١.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢٨٨/١، ولسان العرب: ٣٧٨/٢.

الكريم على ثلاثة أوجه^(١): كالثواب، والأرض المحروثة، ومنبت الولد. والمراد في هذه الآية منبت الولد ومنه قوله تعالى: (نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ).

ثانياً: شئتم: المشيئة: الإرادة. شئت الشيء أشأؤه شيئاً ومشيئة ومشاة ومشاية: أردته، والاسم الشيئة، وإن الكلام موجه لجميع الناس بقوله: (شئتم) أي أردتم^(٢).

ثالثاً: المحيض: تحيض حيضاً، والحيض هو سيلان الدم، والمحيض في هذه الآية: هو موضع الحيض^(٣).

خامساً: القراءات في الآية:

(شئتم): قرأ السوسي^(٤) بإبدال الهمزة وصلًا ووقفًا^(٥)، وقرأها حمزة وقفًا فقط، كما قرأها الباقون من القراء بالهمز وصلًا ووقفًا^(٦).

(١) ينظر: الأشباه والنظائر: ٣٢٦، والوجوه والنظائر: ق/٤٩، وإصلاح الوجوه: ١٢٣، ونزهة الأعين النواظر: ٢٣٧.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١/٦٧٦، ولسان العرب: ٥/٢٤٠.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٢/٦٨٥.

(٤) هو أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد ابن الجارود الرستي السوسي، توفي سنة إحدى وستين ومائتين، ذكره عبد الله بن محمد بن أبي دلیم أخذ القراءة عن الزبيدي رقم ١٤٤٦، (ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء: ١/٣٣٢).

(٥) ينظر: غيث النفع في القراءات السبع: ٩٧.

(٦) المصدر السابق نفسه.

سادساً: الوجوه البلاغية في الآية:

١. التشبيهه البليغ^(١): فقد شبه النساء بالحرث أولاً، ولما بين ما يلقى في أرحامهن من النطف وبين البذور من المشابهة، وجه الشبه إن كلاً منهما مادة ما يحصل منه^(٢).
٢. الكناية^(٣): فقد كنى بإتيان الحرث في أية كيفية عن إتيان المرأة في الكيفية التي يشاؤها المرء من غير خطر ولا حرج ما دام المأتي واحداً وهو موضع الحرث^(٤).

سابعاً: الإعراب في الآية:

(نساؤكم) مبتدأ، (حرث) خبر، (لكم) الجار والمجرور صفة لحرث، (فاتوا) الفاء استئنافية. وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل، (حرثكم) مفعول به. والجملتان الاسمية والفعلية مستأنفتان مسوقتان لبيان الحكم في هذه المسألة الاجتماعية (أنا شئتم) مفعول فيه ظرف مكان متعلق بـ(أنتوا)، وجملة شئتم في محل جر بالإضافة، (وقدموا لأنفسكم) عطف على ما تقدم، (واتقوا الله) عطف أيضاً، (واعلموا أنكم ملاقوه) عطف آخر، وإن

(١) فالتشبيه البليغ: ما حذف منه الأداة ووجه الشبه. ينظر: الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن: ٥٩، والبلاغة الواضحة: ٣٥.

(٢) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢٩٢/٢.

(٣) فالكتابة: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى. ينظر: الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن: ١٢٦، والبلاغة الواضحة: ١٦٦.

(٤) ينظر: إعراب القرآن وبيانه: ٢٩٢/٢.

وما سدت مسد مفعولي أعلموا وملاقوه خبر إن وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم، (وبشر المؤمنين) عطف على ما تقدم. (١).

ثامناً: المعنى العام:

(نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) أي لا حرج عليكم في إتيان نساؤكم بأي كيفية شئتم ما دمتم تقصدون الاستيلاء في الموضع الطبيعي فالشارع لا يقصد إلى إغناكم وحضر اللذة عليكم بل يريد لكم الخير والمنفعة ولا يريد المفسدة بوضع الأشياء في غير مواضعها، وقد جاءت هذه الآية عقبى سابقتها كالبيان لها شارحة ووجه الحكمة التي لأجلها شرع عشيان النساء وهو حفظ بقاء النوع البشري بالاستيلاء كما يحفظ النبات بالزرع والحرث لا لذة المباشرة لذاتها ومن ثم لا يحل لكم أن تأتوا النساء في زمن الحيض حيث لا استعداد لقبول الزرع ولا في غير المأتي الذي يتحقق به الاستيلاء، (وقدموا لأنفسكم واتقوا الله) ما يقدم للنفس هو ما ينفعها في مستأنف حياتها ولا شيء أنفع للإنسان في مستقبله من ولد بار ينفعه في دينه ودنياه كما جاء في الحديث: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوا له) (٢).

(١) ينظر: إملاء ما من به الرحمن: ٩٤/١، وإعراب القرآن الكريم وبيانه: ٢٩٢/٢.

(٢) ينظر: صحيح مسلم: ١٢٥٥/٣، رقم الحديث (١٦٣١).

ولا يكون الولد كذلك إلا إذا أحسن والداه تربيته وهذابه وجعلاه ذا خلق عظيم وهذا ما يدعوا إلى اختيار المرأة الودود الولود التي تعين الرجل على تربية ولده بحسن خلقها وعملها وتكون قدوة حسنة لهم إذ ينشأ وهو يرى فضائلها وجلائل أعمالها فتتطبع صورتها في نفسه فيشب وهو كامل الأخلاق حميد الصفات كما يختار الزارع الأرض الصالحة التي توتى جيد الغلة، وقوله: (واتقوا الله) أي احذروه بأن تخرجوا النساء عن كونهن حرثاً بإضاعة مادة النسل في الحيض أو بوضعها في غير موضع الحرث أو بأن تختاروا المرأة السيئة الأخلاق التي تفسد تربية الأولاد بإهمالها وسوء القدوة في معاشرتها، ثم أوعد من يخالفون أمره فقال: (وَاعْلَمُوا أَنكُمْ مُلَاقُونَ) أي واعلموا أنكم ستلاقون ربكم في الآخرة فيجازيكم على عصيانه ومخالفة أمره وتتجرعون من جراء ذلك العذاب الأليم. (وبشر المؤمنين) أي وبشر المؤمنين الذين يقفون عند حدود دينهم ويتبعون هدى ربهم في أمر النساء والأولاد فيسعدون بنعيم الدنيا والآخرة فمن يختار لنفسه الزوجة الصالحة ويحسن تربية ما رزقه الله من الأولاد يكن قرير العين سعيداً بما يرى من حسن وحال أهله وولده، أما من تطغى عليه شهواته فيخرج عن السنن التي شرعها الله لعباده فإنه لا يسلم من المنغصات في هذه الحياة وهو في الآخرة أتعس حالاً وأضل سبيلاً، فالسعادة كل السعادة في تكميل النفس بصادق الإيمان

وفاضل الأخلاق واطمئنان القلب عند الفرح والحزن ولدى السرور والهيم وتسليم الأمر إلى خالق الخلق ومدبر أمرهم بعد أخذ الأهبة وكمال العدة وهذا هو التوكل الذي أمرنا به^(١).

تاسعاً: ما يستنبط من الآية:

١. لا حرج في إتيان النساء بأي كيفية شئتم.
٢. تقديم العمل الصالح في الدنيا ليكون في الآخرة منفعة لصاحبه.
٣. حسن تربية الأولاد ليكونوا عنصر بر وإحسان لأهلهم ووالديهم.
٤. الوعد بملاقاة الله في الآخرة والرجوع إليه وتسليم الأمر إليه.

^(١) ينظر: تفسير روح المعاني: ٢/١٢٤-١٢٥، والجامع لأحكام القرآن: ٣/٩١-٩٣، وتفسير المراغي: ٢/١٥٨-١٦٠.

المطلب الثاني

بشارة المؤمنين بخيري الدنيا والآخرة

قال تعالى: (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ
الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ)^(١)

أولاً: مكان نزول الآية:

هذه الآية مدنية تبعاً لسورة التوبة نزلت بعد هجرة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذهب إليه الجمهور^(٢).

ثانياً: المناسبة لما قبلها وما بعدها:

المناسبة لما قبلها: ولما ثبتت المعاقدة وأحكامها، وصف المعاقدين على طريق المدح للحث على أوصافهم فقال (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)^(٣).

المناسبة لما بعدها: ولما كثرت في هذه السورة الأوامر بالبراءة من إحياء المشركين وجاء الأمر أيضاً بالبراءة من

(١) سورة التوبة: الآية ١١٢.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٠/١-١١، جمال القراء وكمال الأقرء: ١٠/١-١١.

(٣) ينظر: نظم الدرر: ٣/٣٩٠.

الأموات المنافقين بالنهي عن الدعاء لهم جاءت هذه الآية مشيرة إلى البراءة من كل مشرك فوق التصريح بعدها بما أشارت إليه وذلك أنه لما ثبت بهذه الآية في تقديم الجار إن المبايعة وقعت على تخصيص الجنة بالمؤمنين وأنه تعالى أوفى من عاهد، ثبت أنه لا يجوز أن يدخل غيرهم الجنة وأن غيرهم أصحاب النار لأنه قد علم أن الآخرة داران: جنة، ونار، ولما ثبت أن هذا كله علم قطعاً علم النتيجة من المقدمات الصحيحة. فقال (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا) (١). (٢).

ثالثاً: تحليل الكلمات:

١. العابدون: عبد: العين والباء والداً أصلان صحيحان كأنهما متضادان فالأول يدل على لين وذل والآخر على شدة وغلظ، وعبادة الله تعالى: الذل له بالانقياد لما أمر والانتهاة عما نهى ويقال هو يعبد لهذا الأمر، وفسر قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) (٣). أي أول من غضب عن هذا وأنف من قوله وأما عبد، يعبد، عبادة، فلا يقال إلا لمن يعبد الله

(١) سورة التوبة الآية ١١٣.

(٢) نظم الدرر: ٣٩٢/٣.

(٣) سورة الزخرف الآية ٨١.

تعالى ويقال للمشركين: عبدة الطاغوت والأوثان، وللمسلمين: عباد يعبدون الله تعالى^(١).

وجاءت كلمة العبادة في القرآن الكريم على وجهين^(٢): كالتوحيد والطاعة وأن المراد في هذه الآية هو التوحيد ومنه قوله تعالى: (وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)^(٣).

٢. الراكعون: ركع: الرء والكاف والعين أصل واحد يدل على انحناء في الإنسان وغيره ويقال: ركع الرجل إذا انحنى وكل منح ركع، ثم تصرف الكلام فقل للمصلي ركع وقيل للساجد شكراً: ركع، قال تعالى: (وَاسْجُدْ وَارْكَعْ مَعَ الرَّاكِعِينَ)^(٤). قال قوم تأويلها: اسجدي أي صلي واركعي مع الراكعين أي أشكري الله جل ثناؤه مع الشاكرين^(٥) وجاء الركوع في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه^(٦): كالصلاة والانحناء والسجود وإن المراد في هذه الآية هو الصلاة ومنه قوله تعالى: (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)^(٧).

(١) ينظر: كتاب العين: ٤٨/٢. ومعجم مقاييس اللغة: ٢/٢٠٨. ولسان العرب: ١٤٨/٦.

(٢) الأشباه والنظائر: ٢٨٨، والوجوه والنظائر ق: ٤٣، ونزهة الأعين النواظر: ٤٣١.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٧٣.

(٤) سورة آل عمران الآية ٤٣.

(٥) معجم مقاييس اللغة: ١/٤٨٤-٤٨٥، ولسان العرب: ٤/٢٣٢.

(٦) إصلاح الوجوه: ٢١٠، ونزهة الأعين النواظر: ٣١٤.

(٧) سورة البقرة الآية ٤٣.

رابعاً: القراءات في الآية: قوله تعالى

١. (التائبون) قرأها أبي^(١)، وعبد الله بن مسعود والأعمش^(٢)
(التائبين).^(٣)

٢. قوله تعالى: (الأمرون) قرأها أبي وعبد الله بن مسعود
والأعمش (الأميرين).^(٤)

خامساً: الإعراب في الآية:

التائبون: رفع على إضمار مبتدأ عند أكثر النحويين أي هم
التائبون وفيه قولان سوى هذا: قول أبو إسحاق^(٥) يجوز أن يكون

^(١) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أبو المنذر الأنصاري المدني سيد القراء بالاستحقاق وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق قرأ على النبي (صلى الله عليه وسلم) القرآن العظيم وقرأ عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) بعض القرآن للإرشاد والتعليم، اختلف في موته اختلافاً كثيراً فقبل سنة تسع عشرة، وقيل سنة عشرين، وقيل ثلاث وعشرين وقيل غير ذلك. (غاية النهاية في طبقات القراء: ٣١/١)

^(٢) هو سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي الإمام الجليل ولد سنة ٦٠، مات في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة. (غاية النهاية في طبقات القراء: ٣١٥/١).

^(٣) البحر المحيط: ١٠٤/٥.

^(٤) المصدر السابق نفسه.

^(٥) هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد القاضي أبو إسحاق الأزدي البغدادي، ثقة مشهور كبير، ولد سنة تسع وتسعين ومائة، توفي فجأة وقت صلاة العشاء الآخر من ليلة الأربعاء لثمان بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين ببغداد رحمه الله. (غاية النهاية: ١٦٢/١).

بدلاً أي يقال: التائبون، وقال ويجوز أن يكون رفعاً بالابتداء، قال: وهو أحسن عندي ويكون التقدير التائبون لهم الجنة^(١).

سادساً: المعنى العام:

قوله تعالى (التائبون) أي هم الراجعون إلى الله بتركهم كل ما يبعد عن مرضاته وتوبة الكفار هي رجوعهم عن الكفر الذي كانوا عليه، كما أن توبة المنافق تكون بترك نفاقه، وتوبة العاصي من معصيته تكون بالندم على ما حصل منه والعزم على عدم العود لمثله كتوبة من تخلف عن غزوة تبوك من المؤمنين وتوبة المقصر في شيء من البر وعمل الخير تكون بالاستزادة منه، وتوبة من يغفل عن ربه تكون بالإكثار من ذكره وشكره والعابدون لله المخلصون في جميع عباداتهم فلا يتوجهون إلى سواه بدعاء ولا استغاثة ولا يتقربون إلى غيره بعمل قربان ولا طلب مثوبه في الآخرة والحامدون لله في السراء والضراء، روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا أتاه الأمر يسره قال: (الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات) وإذا أتاه الأمر يكره قال: (الحمد لله على كل حال)^(٢).

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٣٦/٢، وإملاء ما من به الرحمن: ٢٣/٢.

(٢) ينظر: سنن ابن ماجه للقزويني: ١٢٥٠/٢، رقم الحديث (٢٨٠٣)، وكتر العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري: ٢ / ٦٧٠، باب أدعية السرور والحزن رقم الحديث (٥٠٢٧).

(السائحون) في الأرض لغرض صحيح كعلم نافع للسائح في دينه أو دنياه أو أمر نافع لقومه وأمته أو النظر في خلق الله وقد حث الله كثيراً على السفر والسياحة لطلب الرزق الحلال من تجارة وغيرها، (والراكعون الساجدون) في صلواتهم المفروضة وخصاً بالذكر لما فيها من الدلالة على التواضع والعبودية والتذلل لله سبحانه وتعالى (والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) أي الداعون إلى الإيمان وما يتبعه من أعمال البر والخير والناهون عن الشرك وما بسبيله من المعاصي والسيئات (والحافظون لحدود الله) أي الحافظون لشرائعه وأحكامه التي بين فيها ما يجب على المؤمنين إتباعه وما يحضر عليهم فعله منها وكذا ما يجب على أئمة المسلمين وأولى الأمور منها إقامته وتنفيذه بالعمل في أفراد المسلمين وجماعتهم إذا أخلوا بما يجب عليهم حفظه منها، ثم ذكر جزاءهم على ذلك فقال: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) أي وبشر أيها الرسول المؤمنين المتصفين بهذه الصفات بخيري الدنيا والآخرة وخصت تلك الخلال بالذكر لأن بها تكون المحافظة على حدود الله^(١).

سابعاً: ما يستنبط من الآية:

١. توبة العاصي عن معصيته هي الندم على ما حصل منه والعزم على عدم العود لمثله.
٢. توبة من يغفل عن ربه تكون بالإكثار من ذكره.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٩/٨-٢٧١، وتفسير المراغي: ٣٣/١٣-٣٤.

٣. التشجيع على السفر والسياحة لطلب الرزق الحلال من تجارة وغيره.
٤. التواضع والعبودية والتذلل لله وحده.
٥. البشرى للمؤمنين المتصفين بالتواضع والعبودية بخيري الدنيا والآخرة لمحافظتهم على حدود الله سبحانه وتعالى.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده تعالى الذي أعانني على الانتهاء من هذا البحث المتواضع الذي عشت فيه مع آيات القرآن أتعرف على أسرارها وأحللها وأتطعم إلى معانيها ومقاصدها فأجد نفسي مسروراً ببشارة المؤمنين الذين يعملون الصالحات وأما الذين عاشوا في غفلة عن الله سبحانه وتعالى وعدم الاستعداد لليوم الآخر فعاقبتهم الخسران المبين وقد توصلت إلى بعض النتائج منها:

١. صفة البشارة للمؤمنين هي مظهر الخوف من الله والاستعداد لعبادته والتقوى في كل شيء.
٢. إن البشارة للمؤمنين دليل على كمال الإيمان والتصديق بالساعة والاستعداد لها بالأعمال الصالحة.
٣. إن صفة بشارة المؤمنين لا تقتضي وجود ذنب يخاف منه العبد المؤمن أنه دوماً في مراقبة الله والخوف منه.
٤. إن صفة البشارة للمؤمنين ملازمة للمؤمنين في الدنيا والآخرة بالسعادة والنعيم والخير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣٧٥هـ، تحقيق: عبد السلام هارون، طبعة القاهرة.
٢. مختار الصحاح، للرازي، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت.
٣. لسان العرب، لابن منظور، المتوفى سنة ٧١١هـ، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من الأساتذة، دار الحديث.
٤. التعريفات: تأليف فريد عصره ووحيد دهره الشريف علي بن محمد الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦هـ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ، بيروت.
٥. كشف اصطلاحات الفنون: تأليف الشيخ الأجل المولوي محمد أعلى بن علي التهانوي، دار صادر، بيروت.
٦. صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر للمؤلف محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي)، الناشر: دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة، جامعة دمشق.
٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، المتوفى سنة ٣٩٣هـ، تحقيق: احمد عبد الغفور

- عطار، الطبعة الأولى ١٩٥٦، والطبعة الرابعة ١٩٨٧، دار العلم للملايين، بيروت.
٨. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، للعلامة بدر الدين العيني.
٩. شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، الناشر: المكتبة الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ، بيروت.
١٠. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركلي، المتوفى سنة ٧٩٤هـ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت.
١١. الإتيان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي، المتوفى سنة ٩١١هـ.
١٢. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
١٣. كمال القراء، لعلم الدين سخاوي علي بن محمد، المتوفى سنة ٦٤٣هـ، تحقيق: د. علي حسين البواب، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، مطبعة المدني، مكتبة التراث، مكة المكرمة.
١٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية.

١٥. غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ، الطبعة الثانية ١٩٨٠م، دار الكتب العلمية.
١٦. قواعد التلاوة وعلم التجويد، للدكتور فرج توفيق الوليد - رحمه الله - الأستاذ في كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.
١٧. النشر في القراءات العشر، لابن الجوزي المتوفى ٨٣٣هـ، تحقيق: محمد علي الضباع، المكتبة التجارية الكبرى.
١٨. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: تأليف الدكتور احمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧م، مطبعة أم الربيعين، الموصل، ١٩٣٧م، نشره الدكتور محمد صديق الجليلي.
١٩. المهذب في القراءات العشر توجيهها عن طريق طيبة النشر: تأليف محمد محمد محمد سالم محسين، المدرس بمعهد القراءات، الأزهر ١٩٦٩م، مكتبة الكليات الأزهرية بالأزهر.
٢٠. الكنز في القراءات العشر، للإمام العلامة الشيخ عبد الله بن عبد المؤمن ابن الوجيه الواسطي، المتوفى سنة ٧٤٠هـ، تحقيق: هناء الحمصي، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١. غيث النفع في القراءات السبع، للإمام المحقق علي النووي الصفاقسي - رحمه الله - المتوفى سنة ١١١٧هـ بصفاقس، تحقيق: جمال الدين محمد شريف، طبعة دار الصحابة للتراث بطنطا ٢٠٠٤م.
٢٢. تقريب النشر في القراءات العشر، لمحمد بن علي بن يوسف بن الجزري المكنى أبي الخير المتوفى سنة ٨٣٣هـ، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية ١٩٩٢م، دار الحديث، مصر، القاهرة.
٢٣. إعراب القرآن، للإمام العلامة أبي جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل بن النحاس، المتوفى سنة ٣٣٨هـ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل ابراهيم، الطبعة الثانية ٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤. تأويل مشكل القرآن، لعبد الله بن قتيبة بن مسلم المروزي، المتوفى سنة ٢٧٦هـ، شرحه ونشره: السيد احمد صقر، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٥. الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، للإمام العالم شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم إمام الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،
للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي
البغدادي المتوفى سنة ١٢٧هـ، دار الفكر للطباعة.
٢٧. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله بن أحمد الأنصاري
القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١هـ، دار الكتاب العربي،
القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
٢٨. تفسير المراغي، للأستاذ الكبير المرحوم أحمد مصطفى
المراغي، أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية في كلية دار
العلوم سابقاً، الطبعة الرابعة، مصر، ١٩٧٠م.
٢٩. كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي،
المتوفى سنة ١٧٥هـ، تحقيق: د. مهدي المخزومي، و د.
إبراهيم السامرائي.
٣٠. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل بن سليمان
البلخي، المتوفى سنة ١٥٠هـ، دراسة وتحقيق: د. عبد الله
محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣١. الوجوه والنظائر، عن هارون بن موسى، المتوفى سنة
١٧٥هـ، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، وزارة الثقافة
والإعلام، دائرة التراث والآثار، ١٩٨٨م.

٣٢. إصلاح الوجوه والنظائر: تأليف الحسن بن محمد الدامغاني، المتوفى سنة ٤٧٨هـ، تحقيق: عبد سيد الأهل، دار الملايين، بيروت.
٣٣. كشف السرائر، لمحمد بن العماد، المتوفى سنة ٨٧٨هـ، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم احمد، مصر ١٩٧٧م.
٣٤. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٥. أسباب النزول، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري، المتوفى سنة ٤٦٨هـ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، دار ابن الهيثم، القاهرة.
٣٦. وجوه القرآن، للنيسابوري الحيري إسماعيل بن احمد، المتوفى سنة ٤٣٠هـ، مصورة معهد المخطوطات العربية.
٣٧. البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، المتوفى سنة ٧٥٤هـ، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الكتب للطباعة، بيروت
٣٨. تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ، لأبي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، دار الفكر.

٣٩. طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن احمد الداودي، المتوفى سنة ٩٤٥هـ، ضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٠. الكشاف، لأبي القاسم جار الله محمود عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
٤١. منار الهدى في الوقف والابتداء، لأحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشبوني، من علماء القرن الحادي عشر الهجري، ومعه التلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء، لشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري، المتوفى سنة ٩٢٦هـ، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٢. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، المتوفى سنة ٦١٦هـ، الطبعة الأولى ١٩٧٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٣. إعراب القرآن وبيانه: تأليف الأستاذ محي الدين الدرويش، المتوفى سنة ١٩٨٢م، الطبعة التاسعة ٢٠٠٣م، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.
٤٤. البلاغة الواضحة في البيان والمعاني والبديع: تأليف علي الجارم - مصطفى أمين، طبعة مصححة وملونة ومشجرة أعدها واعتنى بها ووضع خلاصتها: علي محمد زينو، قرأه

- الشيخ احمد الأحمد، وراجعه الأستاذ احمد القادري، دمشق،
البرامكة.
٤٥. جامع البيان عن تأويل القرآن المعروف بتفسير الطبري،
للإمام الكبير المحدث الشهير ومن أطبقت الأمة على تقدمه
في التفسير الإمام أبي جعفر محمد بن جليل الطبري، المتوفى
سنة ٣١٠هـ، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.
٤٦. الدر المنثور في التفسير المأثور، لعبد الرحمن بن الكمال،
جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، الطبعة الأولى
١٩٣٨م، دار الفكر بيروت.
٤٧. الموطأ، للإمام مالك بن أنس (رضي الله عنه) أبو عبد الله
الأصبحي، دار إحياء التراث العربي، مصر، تحقيق: محمد
فؤاد عبد الباقي.
٤٨. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري
النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث
العربي، بيروت.
٤٩. لباب النقول في أسباب النزول، للإمام الحافظ جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ،
الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، دار ابن الهيثم، القاهرة.

٥٠. صفوة التفاسير، للأستاذ محمد علي الصابوني، الأستاذ في كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، طبع ألمانيا الغربية، الطبعة السادسة ١٩٨٥م، دار القرآن، بيروت.
٥١. ديوان حسان بن ثابت، لسيدنا حسان بن ثابت في وصف النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، طبع المطبعة المحمدية سنة ١٢٨١هـ.
٥٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
٥٣. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر احمد بن الحسين البيهقي، ٣٨٤-٤٥٨هـ، خرج أحاديثه وعلق عليه: د. عبد المعطي قلنجي، الطبعة الأولى ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٤. الطبقات الكبرى لابن سعد: تأليف محمد بن سعد بن محمد أبو عبد الله البصري الزهري، المتوفى سنة ٢٣٠هـ، دار صادر، بيروت.
٥٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م، دار الفكر، دمشق.

٥٦. الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تصنيف: محمد بن علي بن محمد الجرجاني، المتوفى سنة ٧٢٩هـ، تحقيق: د. عبد القادر حسين، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر.
٥٧. فتح الباري في صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، ترتيب وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي.
٥٨. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، ترتيب وتصحيح: محمد فؤاد عبد الباقي، رئاسة إدارات الإفتاء بالمملكة العربية السعودية ١٤٠٠هـ.
٥٩. تهذيب الكمال ليوسف بن الزكي عبد الرحمن الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٦٠. الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، دار الجيل، بيروت.
٦١. الصحيح من أسباب النزول، كتبه عصام بن عبد المحسن الحميدان، الطبعة الثانية ٢٠٠٤م، مؤسسة الريان، لبنان، بيروت.

٦٢. سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني
ابن ماجة، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، حققه: محمد فؤاد عبد
الباقي، دار إحياء التراث العربي.
٦٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين
علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، المتوفى
سنة ٩٧٥هـ، الطبعة الأولى ١٩٦٩م، مكتبة التراث
الإسلامي.